العيد في صنعاء القديمة..

صلة للأرحام وابتسامة في وجوه الأطفال

تختلف طقوس العيد من منطقة إلى أخرى والاحتفال بالعيد في صنعاء القديمة يمتاز بالكثير من العادات والتقاليد الحميدة التي لا زالت حتى الآن، فهناك عادات وتقاليد خاصة بالأطفال وعادات وتقاليد خاصة بالشباب وأخرى خاصة بالفتيات وغيرها خاصة بالرجال وأخرى بالنساء.
"الثورة السياحي" التقى مع بعض سكان مدينة صنعاء القديمة تعرف خلالها على بعض العادات والتقاليد التي لا زالت حتى اليوم.. فإلى التفاصيل:
نبدأ رحلاتنا عن العادات والتقاليد في صنعاء القديمة خلال أيام عيد الفطر المبارك بكيفية استقبال العيد من قبل أهالي صنعاء القديمة.

تحقيق/ حسن شرف الدين

قبل حلول العيد بأيام وخصوصا في العشر الأواخر من شهر رمضان الكريم – أعاده الله علينا وعليكم بالخير والعافية – يقوم كل فرد من الأهالي بالاستعداد ليوم العيد من خلال شراء الملابس الجديدة والعطور الزكية والجعالة بمختلف أشكالها وأصنافها ويغلب عليها الحلويات والمكسرات، من ناحية أخرى تقوم ربات البيوت بإعداد الكعك والمقصقص والكيك، وكذلك تقوم بتنظيف البيت كاملا استعداداً للعيد وتغسيل الفرش وغيرها ومسح الأواني الفضية التي تزخرف بيوت صنعاء القديمة، بينما يقوم الرجال بترميم واجهات المنازل بمادة الجص الأبيض خاصة حول نوافذ المنازل وكأنه أحد أفراد البيت يتم كسوته لاستقبال العيد.. وهناك عادات خاصة بالفتيات حيث يقمن بنقش أيديهن وأرجلهن إما بالخضاب أو الحناء.. أما الأطفال فيستعدون له من خلال تجهيزهم للابسهم التي سيلبسونها يوم العيد، وكذلك الاستعداد لقضاء يوم جميل بالطواف والسلام على جميع بيوت صنعاء القديمة للحصول على الجعالة وعسب العيد.

زيارة المكالف

الحاج محمد عبدالقدوس التقيناه ثالث أيام العيد مع حفيديه أكرم ومصطفى يقول: أنا من سكان المدينة لكني في الفترة الأخيرة منذ ما يقارب العشر السنوات انتقلت إلى منزل ولدي الذي بناه خارج المدينة، وأنا كل عيد أقوم بزيارة بناتي الثلاث المزوجات في نفس المدينة، وزيارتهن واجب فهن أرحامنا.

وعن كيف كان يقضوا أيام العيد في شبابهم يقول الحاج محمد: كنا نصلي صلاة العيد في الجامع الكبير وبعد صلاة العيد مباشرة نقوم بالسلام والمعايدة على من نعرفهم ومن لا نعرفهم من المصلين، بعد ذلك نقوم بزيارة المكالف "الأرحام" الاخوات والجدات والعمات والخالات إلى وقت صلاة الظهر.. وبعد العصر نجتمع مع أهل المدينة وهكذا حتى تنقضي أيام العيد.. والأرحام التي خارج صنعاء نذهب لزيارتهن في اليومين الثاني و الثالث من أيام العيد.

وعن الفرق بين تلك الأيام وهذه الأيام يقول الحاج: يالله بحسن الختام يا ولدي.. الوقت غير الوقت قد القلوب تغيرت والناس تغيروا.. كان من أول، حاتدخل السوق تعرف الناس كلهم أما الآن تدخل السوق ولا أحد يقول لك السلام عليكم، نسأل الله تعالى أن يهدي النفوس جميعا... "خاطرك مع السلامة".

نقش وحناء

امراءة كبيرة في السن قابلناها في سوق الزبيب كان لنا حوار قصير معها حول كيف تستقبل النساء العيد فأجابت: تستقبل النساء العيد بالغسال والصبان والنفاض، وصناعة الكعك وترتيب البيت.. والذي معه بنات يتنقشين ويتحنين ويخيطوا لهن الفساتين.. وفي صباح العيد نصلي العيد ونعد النارة والعودة للزائرين من الأهل.. وما يجي الضيف إلا وكل شيء جاهز، قد البيت مبخر بالعودة الحالية.

ليلة العيد

ليلة العيد لدى الأطفال تختلف عن غيرها من الليالي فهم ينتظرون بفارغ الصبر حتى تشرق شمس يوم العيد.. حتى يرتدوا ثيابهم الجديدة ويذهبون مع آبائهم لأداء صلاة العيد.. فما أن تنتهي خطبتا العيد حتى ينتشر الأطفال في كل أرجاء مدينة صنعاء يطوفون بيوت صنعاء للحصول على جعالة العيد وعسب العيد.. فتراهم وقت الظهيرة متزاحمين على أبواب الدكاكين كلٌ يشتري الذي يرغب فيه.. فمنهم من يوفر ما تحصل عليه ومنهم من يصرفه على الألعاب بمختلف أشكالها.

أما الشباب والرجال فلا ينامون بعد صلاة الفطر حيث يبدأون بلبس الملابس الجديدة المعطرة بأفضل وأفخر أنواع العطور، والتي هي عبارة عن الثوب الصنعاني الأبيض والجنبية المتوارثة منذ القدم والكوت والشال الموضوع على الكتف وآخر على الرأس.. وما نأمله من أهالي صنعاء القديمة أن يحافظوا على الزي الشعبي المتوارث منذ القدم، وبعد لبسهم ملابس العيد يذهبون إلى الجامع الكبير بصنعاء أو "الجبّانة"، وفي نفس الوقت تقوم النساء بإكمال تهيأت المنزل لاستقبال الزائرين.

أسواق صنعاء

العشر الأواخر من شهر رمضان تزدحم أسواق صنعاء القديمة بالزبائن حتى صلاة الفجر.. فمنهم من يكسوا أولاده وأطفاله ومنهم من يشتري جعالة العيد من مكسرات وحلويات ومنهم من يشتري مسلتزمات البيت لاستقبال الضيوف من عطور وغيرها.. وتعتبر هذه الأيام فرصة للباعة أصحاب الدكاكين والباعة المتجولين، ومن الأسواق المشهورة في صنعاء القديمة سوق الزمر وسوق شعوب وسوق الملح وسوق الفضة وسوق الزبيب وسوق الجنابي وسوق البز وسوق باب اليمن وغيرها الكثير من الأسواق في صنعاء القديمة التي تزدحم بروادها الأيام القليلة القريبة من يوم العيد.

حراك اجتماعي

بعد أداء صلاة العيد تبدأ صنعاء القديمة بحراك اجتماعي جميل فلا يخلو شارع أو طريق من السلام بين الأخ وأخيه والجار وجاره وتكون صيغة المعايدة بقولهم "من العايدين" أو "كل عام وأنتم بخير" أو "عيد مبارك وكل عام والجميع بخير" أو "من السالمين الغانمين" أو "أعادكم الله كل عيد".. وغيرها من العبارات التي تعبر عن الفرحة والسعادة بهذا اليوم، بعد ذلك تبدأ عملية السلام من البيت حيث يقوم الأبناء بالسلام على والديهم وأجدادهم، ومن ثم يبدأ الرجال بالخروج من المنزل والذهاب لصلة الأرحام والأقارب الموجودين في صنعاء القديمة وإعطائهن "سلام العيد"، وكذلك الأطفال يقومون بطرق جميع أبواب صنعاء القديمة للسلام وأخذ جعالة العيد والعسب، حيث يمثل العيد للاطفال يوماً جميلاً لأنه يجلب لهم ما يحتاجونه من جعالة ومال.. بينما النساء يجلسن في البيوت يستقبلن الزائرين من الأقارب وأطفال الحي ويقدمن لهم الجعالة.

ومع اليوم الثاني يقوم الرجال بزيارة أقاربهم الساكنين خارج صنعاء القديمة، وهكذا بقية أيام العيد.. وخلال هذه الفترة يقوم الأطفال بالتنزه والذهاب إلى الحدائق العامة ويصرفوا ما جمعوه من "عسب العيد" على الألعاب الترفيهية وشراء ما يريدونه من ألعاب وحاجيات أخرى.